

روح المعاني

أن \square يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يدخل كل واحد منها في الآخر ويضيفه سبحانه إليه في تفاوت بذلك حاله وزيادة ونقصانا وعدل عن يولج أحد الملوين في الآخر مع أنه أخصر للدلالة على إستقلال كل منهما في الدلالة على كمال القدرة وقدم الليل على النهار لمناسبته لعالم الإمكان المظلم من حيث إمكانه الذاتي وفي بعض الآثار كان العالم في ظلمة فرش \square تعالى عليهم من نوره وهذا الإيلاج إنما هو في هذا العالم ليس عند ربك صباح ولا مساء وقدم الشمس على القمر في قوله تعالى : وسخر الشمس والقمر مع تقديم الليل الذي فيه سلطان القمر على النهار الذي فيه سلطان الشمس لأنها كالمبدأ للقمر ولأن تسخيرها لغاية عظمها أعظم من تسخير القمر وأيضا آثار ذلك التسخير أعظم من آثار تسخيره وقال الإمام في تعليل تقديم كل على ما قدم عليه : لأن الأنفس تطلب سبب المقدم أكثر مما تطلب سبب المؤخر وبين ذلك بما بين ولعل ما ذكرناه أولى لا سيما إذا صح أن نور القمر مستفاد من ضياء الشمس وعطف قوله سبحانه سخر على قوله تعالى يولج والإختلاف بينهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد في كل حين وأما التسخير فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : كل أي كل واحد من الشمس والقمر يجري يسير سيرا سريعا مستمرا إلى أجل أي منتهى للجري مسمى سماه \square تعالى وقدره لذلك وهو كما قال الحسن يوم القيامة فإنه لا ينقطع جرى النيرين وتبطل حركتهما إلا في ذلك اليوم والظاهر أن هذا الجري هو هذه الحركة التي يشاهدها كل ذي بصر من أهل المعمورة وهي عند الفلاسفة بواسطة الفلك الأعظم فإن حركته كذلك وبها حركة سائر الأفلاك وما فيها من الكواكب ويسمى حركة الكل والحركة اليومية والحركة السريعة والحركة الأولى والحركة على خلاف التوالي والحركة الشرقية وبعضهم يسميها الحركة الغربية وقيل : ما يعم هذه الحركة وحركتهما الخاصة بهما وهي حركتهما بواسطة فلكيهما على التوالي من المغرب إلى المشرق وهي للقمر أسرع منها للشمس وليس في العقل الصريح والنقل الصحيح ما يأبى إثبات هاتين الحركتين لكل من النيرين كما لا يخفى على المنصف العارف ومنتهى هذا الجري العام لهاتين الحركتين يوم القيامة أيضا والجملة على تقدير عموم الخطاب إعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الإستطراد وعلى تقدير إختصاصه به صلى \square تعالى عليه وسلم يجوز أن تكون حالا من الشمس والقمر فإن جريهما إلى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته E وقيل جريهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما والأجل المسمى لجري الشمس آخر السنة المسماة بالسنة الشمسية الحقيقية وهي زمان مفارقة الشمس أية نقطة تفرض من فلك البروج إلى عودها

إليها بحركتها الخاصة وجعلوا إبتدائها من حين حلول الشمس رأس الحمل ومدتها عند بعض
ثلثمائة وخمسة وستون يوما بليلته وربع يوم كذلك وعند بطليموس ثلثمائة وخمسة وستون يوما
بليلته وخمس ساعات وخمسة وخمسون دقيقة وإثنتا عشرة ثانية وعند بعض المتأخرين ثلثمائة
وخمسة وستون يوما وخمس ساعات وست وأربعون دقيقة وأربع وعشرون ثانية وعند الحكيم محيي
الدين الكسر الزائد خمس ساعات ودقيقة وبالرصد الجديد الذي تولاه الطوسي بمراغة خمس
ساعات وتسع وأربعون دقيقة ووجد برصد سمرقند أزيد من هذا بربع دقيقة وأما الإصطلاحية
فأعتبرها بعض كالروم والأقدمين من الفرس ثلثمائة وخمسة وستون يوما بليلته وربع يوم كذلك
وأخذ الكسر ربعا تاما إلا أن الروم يجعلون ثلاث سنين